﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ [هود: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ردُّ نـوح ﷺ عـليـهـم، حين استعجلوا وقوع الـعـذاب، بـأنَّ الـلـه لا يعجزه ذلك

على نهج الآيات في الرَّدِّ على لسان نوح ﷺ على المشركين من قومه في دعاويهم الباطلة جاء قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾؛ ردًّا عليهم في قولهم: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهذا الردُّ منه ﷺ قصْمٌ لظهورهم، فلا تتعجَّلوا عذابه؛ إذ إنَّ ما تستعجلونه واقعٌ لا محالة، ولكن يأتي به الله إن شاء، ولستم بمعجزيه ﷻ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾: "العَيْنُ والجيمُ والزّاي أصْلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أحَدُهُما على الضَّعْفِ، والآخَرُ على مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ، فالأوَّلُ عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فهوَ عاجِزٌ، أيْ: ضَعيفٌ، وقولهمْ: إنَّ العَجْزَ نَقيضُ الحَزْمِ، فمِنْ هَذا؛ لِأنَّهُ يَضْعُفُ رَأْيُهُ، ويَقولونَ: "المَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحالَةَ". ويُقالُ: أعْجَزَني فُلانٌ؛ إذا عَجِزْتُ عن طَلَبِهِ وإدْراكِهِ، ولَنْ يُعْجِزَ اللهَ تعالى شَيْءٌ، أيْ: لا يَعْجِزُ اللهَ تعالى عنهُ مَتى شاءَ"[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مُـسـتَـعـجِـلُ الـشَّـيءِ يـلْـقـاه، وإنْ طـالَ الـزَّمـن واتَّسع مَداهُ

قال نوحٌ ﷺ رَدًّا عَلَيهِم: هَذا الأمرُ الَّذي تطلبونه بيدِ اللهِ تعالى؛ فهوَ وحدَهُ الَّذي يَأتيكُم بِهِ - إن شاءَ - حَسَبَ حِكمَتِهِ وإرادَتِه، ولَستُم بناجينَ أو مُفلتينَ مِن عَذابِهِ إن وقَعَ بكُم أو جاءَ مَوعِدُه، فاللهُ ﷻ لا يُعجِزُهُ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عجز).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مَوقِعُ الجُملَةِ مِمّا قبلها، وأثر الفصل في شبه كمال الاتِّصال:

المجابهة بين الحقِّ والباطل أمر واقع ما له من دافع

وقَعَتْ هذه الجُملَةُ مِن سابِقَتِها موقعَ الاستئناف البيانيِّ، ومِن هُنا فُصِلَتْ عنها لِشِبهِ كَمالِ الاتِّصالِ، فكَأنَّه قيلَ: فما كانَ رَدُّه ﷺ عَلَيهِم حينَ استَعجَلوا العَذابَ؟ فجاءَ رَدُّه على طَريقَةِ الأقوالِ السّابِقَةِ والمُحاوَراتِ الَّتي مَرَّت قال: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾.

السِّرُّ في تَعبيرِه ﷺ بأُسلوبِ القَصرِ:

بيانُ حمْلِ كلام المجادل على الظّاهر على طَريقَةِ مُجاراةِ الخَصْمِ في المُناظَرَةِ

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ قَصْرُ صفةٍ على موصوفٍ، فقد قَصَرَ فيه الإتيانَ بالعَذابِ عَلَيهِ ﷺ إذا اقتضت مشيئتُه، والمغزى مِن هذا الإتيانِ لا يكونُ هُنا إلّا مِنهُ ﷺ: "والقصرُ... قصرُ قلبٍ بناءً على ظاهِرِ طلبِهِم، حملًا لِكلامِهِم على ظاهِرِهِ على طريقةِ مُجاراةِ الخصمِ في المُناظرةِ، وإلّا فإنّهُم جازِمون بتعذُّرِ أن يأتيهُم بما وعدهُم؛ لِأنّهُم يحسبونهُ كاذِبًا، وهُم جازِمون بأنّ الله لم يتوعّدهُم، ولعلّهُم كانوا لا يُؤمِنون بوُجودِ الله"[1].

والمقصود من أسلوب القصر تأكيدُ المعنى وإيجازه؛ لأنَّ القصر في قوَّة جملتين، وهو قصر قلب جاء ردًّا على مطالبتهم نوحًا ﷺ أن يأتيهم بالعذاب، فكان قصرُ القلب أنسبَ أسلوبٍ في الرَّدِّ عليهم.

سِرُّ إيثار أداة القصر ﴿إِنَّمَا﴾ في معرض السّياق:

إتيان الله بالعذاب، ممّا لا يجهله المخاطب، ولا ينكره

جاءَ بأُسلوبِ القَصرِ هُنا بـ ﴿إِنَّمَا﴾؛ لِتَنبيههِم إلَى وُقوعِ ما يُنكِرونَهُ، فلا تَنصَرِفُ عُقولُهم إلَى عَدَمِ وُقوعِهِ؛ لِأنَّهم ما قالوا ذَلِكَ إلّا استِهزاءً وتَهَكُّمًا بِهِ ﷺ كَما أنَّ فيهِ تَعريضًا بأنَّه ﷺ لا يَستَطيعُ أنْ يُنزِلَ بهِم هَذا العَذابَ؛ إذ لَيسَ في مَقدورِهِ، وسرُّ التَّعبيرِ بها أنَّها تكون فيما لا ينكره المخاطَب، ولا يجهله؛ تعريضًا بجهلهم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/60.

دلالَةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارِعِ ﴿يَأۡتِيكُمۡ﴾:

مَـفـادُ التَّـعـبيرِ بالفِعلِ (يَأتي)

عَبَّرَ نَبيُّ اللّه نوحٌ ﷺ عَن إتيانِ عَذابِ اللّه تعالى بالفعلِ المُضارِعِ الدالِّ على وُقوعِهِ إمّا حالًا، وإمّا مُستَقبَلًا مَع إعْطاءِ المُهلَةِ للرُّجوعِ والإنابَةِ، والفعلُ المُضارِعُ دالٌّ على التَّجَدُّدِ والاستِمرارِ مَعَ الوقوعِ واستِحضارِ صورَتِهِ ليلتَزِموا طريقَ الحَقِّ.

نُكتَةُ تَقديمِ المَجرورِ ﴿بِهِۦٓ﴾ على الفاعِلِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

تَـقـديـمُ الـشَّيءِ يُـفـيـدُ فـائِـدَةَ أفـضَـلَ مِـن تَأخيرِهِ

جاءَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ هُنا (بهِ) على فاعِلِهِ اسمِ الجَلالَةِ (اللّه) لِتَخصيصِ وُقوعِ العَذابِ والإتيانِ لِكونِهِ المقصودَ بالذِّكرِ، وتَقديمُهُ تَهويلٌ لِلأمرِ وردٌّ سَريعٌ مِنهُ ﷺ بلِسانِ الحالِ عَلَيهِم، أي: هوَ آتٍ لا مَحالَةَ، والمُرادُ هوَ آتيكُم بهَذا العَذابِ الَّذي تَنتَظِرونَهُ لا بغيرِهِ، وفيهِ مِن تَخويفِهِم بالمَوعودِ ما لا يَصلُحُ مَعَهُ إلّا التَّقديمُ، قال الآلوسيُّ: "وفيهِ كَما قيلَ: ما لا يَخفى مِن تهويلِ المَوعودِ، فكَأنَّهُ، قيلَ: الإتيانُ بهِ أمرٌ خارِجٌ عَن دائرَةِ القوى البَشَريَّةِ، وإنَّما يَفعَلُه اللّه تعالى. وفي الإتيانِ بالاسمِ الجَليلِ الجامِعِ تَأكيدٌ لِذَلكَ التَّهويلِ"[1].

الغَرضُ مِن ذِكرِ جُملَةِ الشَّرطِ ﴿إِن شَآءَ﴾:

الأمرُ إلَى مالِكِه سبحانه يوقِعُهُ حَسَبَ مَشيئتِه

قوله: ﴿إِن شَآءَ﴾ احْتِراسٌ راجِعٌ إلَى حَمْلِ العَذابِ، على عَذابِ الدُّنْيا، والمَعنَى: يَأتيكُم بهِ اللّه الَّذي لَهُ الإحاطَةُ الشّامِلَةُ، بكُلِّ شَيءٍ، وهَذا أدَبٌ عالٍ مِنهُ ﷺ في إسنادِ الأمرِ إلَى القادرِ عَلَيهِ، فهو يَبرَأُ مِن الحَولِ والقوَّةِ، ويَردُّ ذَلِكَ إلَى مَن لَهُ الحَولُ والقوَّةُ، فرَدَّ إلَيه الأمرَ مُحتَرِسًا، فقالَ: ﴿إِن شَآءَ﴾، والمُرادُ: أنَّه مُخَيَّرٌ في إيقاعِهِ أو عَدَمِهِ، والتَّعْليقُ بـ ﴿إِن شَآءَ﴾ مَنْظورٌ فيهِ، إلَى كَوْنِ العَذابِ مُعَجَّلًا أو مُؤَخَّرًا"[2].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/45.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/278، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/60، بتصرّف.

دلالَةُ الواوِ في قَولِهِ: ﴿وَمَآ أَنتُم﴾:

بيان رَدِّ نوح عليه السلام مُبيِّنًا لَهُم حالَهُم مِن عَذابِ الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم﴾، الواو هُنا: حاليَّة؛ لِبَيانِ حالتِهم مِن العَجزِ والخَطَأ في كَونِهم مُعَرَّضينَ للهلاكِ؛ فإنَّهُم لا يُعجِزونَهُ ﷻ لا فوتًا ولا هَرَبًا.

الغرض من التَّعبير بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾:

البَشرُ عاجِزونَ، لا يملِكونَ مِن أمرِهِم شَيئًا، ولا يعجزون الله شيئًا

جاءَ التَّعبيرُ بالجملة الاسمية المنفية ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: لبيان عجزِهم الكاملِ عَن النَّجاةِ مِن العَذابِ إن حَلَّ بهِم، والتَّعبيرُ بالجُملَةِ الاسميَّةِ دَليلٌ على ثبوت العجز لهم واستمراره منهم حَتَّى وإن وُصفوا في بَعضِ الأحوالِ بالقوَّةِ، إلّا أنَّهَم أمامَ مَقدورِ اللّه لَيسوا بناجينَ، ولا مُفلِتينَ مِن عِقابِهِ في أيِّ وقتٍ مِن أوقاتِ حَياتِهم، أو بَعدَ حَياتِهم، وأنَّ العذابَ الَّذي استعجَلوه واقِعٌ لا مَحالَةَ، والمعنى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بمُصَيِّريهِ ﷻ عاجِزًا بدَفعِ العَذابِ أو الهَربِ منه، والباءُ زائِدَةٌ للتَّأكيدِ، والجُملَةُ الاسميَّةُ لِلاستمرارِ، والمُرادُ: استمرارُ النَّفي وتأكيدُه لا نَفي الاستمرارِ"[1].

دلالَةُ الخطاب بالضَّمير ﴿أَنتُم﴾:

بيان التَّحَدّي بالعَذابِ، والتَّأكيد بأنَّه لا هَربَ ولا إفلاتَ

جاءَ التَّعبيرُ هُنا بقولِهِ: ﴿أَنتُم﴾، والعادة أنَّ التَّعبير بالضَّمير هَذا، إمّا أن يُخاطَبَ بهِ معيَّنٌ، أو يخاطَبَ بهِ مَن يصلحُ لَهُ الخِطابُ على سبيلِ البَدَلِ والتَّناوُبِ، وهُنا الخِطابُ لمعيَّنينَ مُشاهَدينَ يُحاورونَه، ويُحاورُهُم، وقَد ينسحِبُ الحُكْمُ على غَيرِهِم، ممَّن يَنْهَجُ نَهجَهُم، ويَسيرُ على مِنوالهم، إلّا أنَّه ﷻ يقولُ: ﴿أَنتُم﴾ لا غَيرُكُم؛ لِكَونِهِم المخصوصينَ بهَذا الوعَيدِ دونَ سِواهُم، فلا هَرَبَ يَقَعُ مِنهُم ولا إفلاتَ، والمَقامُ هُنا مقامُ خطابٍ لهُم، فخاطَبَهُم خطابَ الحاضِرِ المشاهَدِ المعيَّنِ المعاينِ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/45.

دلالة الباءِ ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ في خَبَر ﴿وَمَآ﴾:

جاءَ قولُهُ تعالى: ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ مقترِنًا بالباءِ الَّتي جاءَت لتَأكيدِ وصفِهِم بالعَجزِ، وكانَ في غيرِ هذا التَّعبيرِ أنْ يقولَ: (وما أنتُم مُعجِزينَ) إلّا أنَّ المَقامَ لَمّا كانَ مَقامَ تحدٍّ وإظهارِ المُعاندة مِنهُم؛ أكَّدَ الاسمَ بالباءِ الَّتي دَلَّتْ - أيضًا - على أنَّ وصفَهُم بالعَجزِ صارَ مُلاصِقًا لَهُم لا ينفكُّ عنهُم أبدًا.

ورود السّياق بإبراز عَجزهم الدّائِم المُلاصِق لَهُم

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(يَأْتيكُم) و(يَجيئُكُم):

﴿يَأْتِيكُم﴾: الإتيان بالشَّيء: الإتيان: مجيء بسهولة، والإتيان يقال للمجيء بالذّات وبالأمر وبالتَّدبير، ويقال في الخير وفي الشَّرِّ وفي الأعيان والأعراض"[1].

هنالك أفعالٌ مستعمَلَةٌ في مواطِنِها، لا يُعبِّر عَنها غَيرُها

(يجيئكم): المجيء: "المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعمُّ؛ لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارًا بالحصول، ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكانًا أو عملًا أو زمانًا"[2].

قال أبو هلال العسكريُّ: "الفرق بَين قَوْلك: أتَى فلان، وجاء فلان: أنَّ قَوْلك: جاءَ، كَلام تامٌّ لا يحْتاج إلَى صلَة، وقولك: أتَى فلان، يَقْتَضي مجيئه بشَيْء، ولِهَذا يُقال: جاءَ فلانٌ نَفسه، ولا يقال: أتَى فلانٌ نَفسه، ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى استُعمِل أحد اللَّفْظَيْن، في مَوضِع الآخر"[3].

(شاءَ) و(أرادَ):

قال أبو هلالٍ العَسكَريُّ: "الفرق بَين الإرادَة والمشيئة: أنَّ الإرادَة تكون لما يتراخى وقته، ولما لا يتراخى، والمشيئة لِما لَم يَتراخَ، والشّاهِد

الإرادَة تكون لما يتراخى وقته، ولما لا يتراخى، والمشيئة لِما لَم يَتراخَ فقط

(1) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(2) الرّاغب، المفردات: (جاء).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 330.

أنَّك تَقول: فعلتُ كَذا شاءَ أو أبى، فيقابل بها إيّاه، وذَلِكَ يكون عِنْد محاولة الفِعْل، وكَذَلِكَ مَشيئَةُ إنَّما تكون بَدَلًا من ذَلِك في حاله"[1].

وقال الرّاغب: "والمَشيئَةُ عند أكثر المتكلِّمين كالإرادة سواء، وعند بعضهم: المشيئة في الأصل: إيجاد الشيء وإصابته، وإن كان قد يستعمل في التُّعارف موضع الإرادة، فالمشيئةُ من الله تعالى: هي الإيجادُ، ومن النّاس هي الإصابَةُ، قال: والمشيئةُ من الله تقتضي وجودَ الشَّيء، ولِذلكَ قيلَ: (ما شاءَ الله كان، وما لم يَشَأْ لم يكن)، والإرادة منه لا تقتضي وجود المراد لا محالة"[2].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 128، 129.
(2) الرّاغب، المفردات: (شيء).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»